مقدمة

رحالة من الشرق والغرب

عشق الناس السفر والترحال منذ القدم . . سواء للبحث عن المجهول، أو لمجرد المتعة . . أو حتى للثقافة وطلب المعرفة . . وهناك من يسافر وهو فى عز الشباب طلبا للعلم والمعرفة . وهناك من يؤجل ذلك فلا يسافر إلا بعد أن يصل إلى سن الإحالة للمعاش، فيتمتع بما جنت يداه . فلا يسيح إلا بعد الستين ، مثل الأمريكان وشعوب شمال أوربا . وشتان بين من يسيح ويسافر طلبا للمعرفة . . ومن يسافر طلبا للمتعة، ويا لله حسن الختام!! ثم هناك من يسافر من أجل أهداف عسكرية أو سياسية أو اقتصادية . . أى يسخر رحلته لتحقيق هدف سياسى، وإن لبست ثوبا ثقافيا . .

أى علينا أن نفرق بين الرحالة للمتعة ، والرحالة للثقافة ، والرحالة للسياسة . . ولقد عرف الشرق كل هؤلاء !!

●● عرف الرحالة الذين سخروا رحلاتهم لتحقيق أغراض سياسية عليا لبلادهم، وفى مقدمة هؤلاء لورانس العرب الذى خدم أغراض بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية فى الربع الأول من القرن العشرين، وعبد الله فيلبى الذى طاف ببلاد العرب ليجمع المعلومات كرحالة بينما كان فى حقيقة الأمر من رجال السياسة والمخابرات الإنجليز، ثم ولفريد ثيسيجر الإنجليزى الذى ولد وعاش طفولته فى الحبشة عندما كان والده سفيرا لبريطانيا هناك ، ثم عمل وطاف بالسودان وليبيا وجبال هندوكوش وجبال كردستان ومستنقعات العراق ، ثم طاف بجنوب جزيرة العرب . وكان أشجع من عبر صحراء الربع الخالى وكتب واحدا من أفضل الكتب عن هذه الرحلة ، وأطلق عليه اسم : «رمال العرب» قبل أن ينتصف القرن العشرين .

●● وعرف الذين عشقوا الحضارة المصرية القديمة فغاصوا فيها وأخرجوا للمعرفة وللمكتبة أروع المؤلفات عن هذه الحضارة ، من أمثال : جيمس هنرى برستيد ودريوتون وغيرهما .

ولكن التاريخ القديم يحمل ويحفظ لنا أسماء عدد من الرحالة الذين زاروا مصر ـ ضمن رحلاتهم فى بلاد العالم القديم ـ وتركوا للمعرفة نتاج رحلاتهم هذه لتروى لنا كيف كانت حياة المصريين وأهل الشرق القديم . وفى مقدمة هؤلاء نجد ناصر خسرو الشاعر والرحالة الفارسى الذى زار مصر ضمن رحلاته للعالم الإسلامى وسجل زيارته فى كتابه القيم «سفر نامه» ، وأقام بمصر بين عامى ١٠٤٧ و ١٠٥٠ م خلال الحكم الفاطمى لها ، وبالذات خلال حكم الخليفة المستنصر بالله . وعاش ناصر خسرو حتى مات عن ٨٥ عاما فى عام ١٠٨٨م .

وهناك الرحالة عبد اللطيف البغدادى الذى ولد فى بغداد عام ١١٦٢م ، ودرس الطب والفلسفة ، وكشف عن أخطاء جالينوس وقدم وصفا تفصيليا للطبيب المثالى وما يجب أن يتحلى به ، إلا أن كتابه « الإفادة والاعتبار » يعتبر واحدا من أهم الكتب التى تصف الحياة فى مصر فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، بعد أن زار مصر وتعمق فى دراسة طبيعة الحياة والناس .

●● ولكن تظل هناك رحلتان هما الأشهر فى تاريخ أدب الرحلات العالمى . الأولى غربية : بطلها ماركو بولو ، والثانية شرقية : بطلها ابن بطوطة . ليس لأن كلاهما زار الصين والتقى بأباطرتها وعاش فى ربوعها . . ولكن لأن كلاهما سجلا كل ما شاهداه فى الذهاب والإياب . . والإقامة . .

ومارك بولو أو ماركو بولو سافر مع عمه ووالده إلى الصين عام ١٢٧١م ، ووصلها بعد ٤ سنوات . . ولكن سبقت هذه الرحلة رحلة قام بها تاجران من البندقية هما مافيو ونيقولا بولو . . غادرا القسطنطينية عام ١٢٦٠ م إلى آسيا الصغرى بحثا عن التوابل والبضائع الثمينة حتى وصلا إلى بلاط كوبلاى خان ملك التتار فى عاصمته كامبالوك وهو الاسم القديم لمدينة بكين ، ووصلاها عام ١٢٦٤ م وكانا بذلك أول أوربيين يريان

تلك البقاع . وبعد سنتين من عودتهما إلى إيطاليا قاما برحلة ثانية إلى الشرق، وكانا يصطحبان اثنين من الرهبان والصبى ماركو الصغير ابن نيقولا بولو الذى كان فى السابعة عشرة من عمره . .

وصمد ماركو لمتاعب الطريق وإن عاد الراهبان لعجزهما واستقبلهم كوبلاى خان بترحاب كبير ، وأعجب بشخصية ماركو الصغير وجعله مستشاره بل عينه واليا على إحدى المقاطعات . . وسافر البنادقة الثلاثة من الصين إلى إيران فى رحلة استمرت ٤ سنوات ونصف السنة . وعاد هؤلاء الرحالة إلى البندقية عام ١٢٩٥م، بعد أن غابوا عنها ٢٤ سنة ، بعد أن زار ماركو بولو عددا كبيرا من المناطق التى تضم إمبراطورية التتار .

ثم انطلق ماركو فى رحلة جديدة . ولكنه اشترك فى الحرب مع البندقية ضد جنوة فوقع أسيرا فى معركة بحرية . . وفى الأسر راح يملى أخبار مغامراته على نزيل معه فى السجن اسمه روستيشللو من مدينة بيزا . وما إن أطلق سراح السجين حتى بادر إلى نسخ ما أملاه عليه ماركو فطغت شهرته الآفاق . . وظل هذا الكتاب على مدى قرون المصنف الوحيد الذى يصف واقعية البلدان النائية فى الشرق الأقصى ، وفى مقدمتها الصين . .

وقد ولد ماركو بولو عام ١٢٥٤م وتوفى عام ١٣٢٤ م ، أى عاش ٧٠ عاما أمضى أكثر من نصفها فى حياته ورحلاته فى الصين وما جاورها من بلدان .

●● أما الثانى ـ ابن بطوطة ـ فهو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى المولود فى طنجة ببلاد مراكش عام ١٣٠٤م وخرج من طنجة وعمره ٢٢ عاما قاصدا الحجاز للحج ، فمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب إلى مصر . ومنها إلى عيذاب على البحر الاحمر مارا بالصعيد ليعبر البحر الأحمر ولكنه لم يعبره وعاد إلى الفسطاط ، ثم رحل إلى فلسطين ولبنان وسوريا والحجاز حيث حج للمرة الأولى . ومن مكة سافر إلى العراق وبلاد العجم والأناضول ، ثم عاد إلى مكة مرة ثانية وظل بها لمدة عامين وغادرها إلى اليمن وعبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا، ثم عاد إلى جنوب جزيرة

العرب حتى الخليج العربى، فزار عُمان والبحرين والإحساء ، ثم عاد إلى مكة ليحج للمرة الثالثة ، ثم خرج إلى الهند مارا بخوارزم وخراسان وتركستان وأفغانستان إلى السند. وهناك تولى القضاء فى دلهى للسلطان محمد شاه. وعندما أرسل السلطان وفدا إلى ملك الصين خرج معه ابن بطوطة. . وفى عودته مر بجزيرة سرنديب وجزائر الهند والصين ، ثم عاد إلى بلاد العرب عن طريق سومطرة عام ١٣٤٧م ، فزار العجم والعراق وسوريا وفلسطين وعاد إلى مكة ليحج للمرة الرابعة. . ثم عاد إلى موطنه مارّا بمصر وتونس والجزائر ومراكش ووصل إلى فاس عام ١٣٤٩م . ثم استأنف رحلته إلى الأندلس حيث غرناطة وعاد إلى فاس ، ولكن عاوده الحنين إلى عالم السفر والرحلات فسافر إلى السودان ومالى وتمبكتو وعاد إلى فاس مرة أخرى .

وقد أملى ابن بطوطة رحلاته على الأديب محمد بن جزى الكلبى فانتهى من كتابتها عام ١٣٥٦م، وأطلق عليها اسم «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» . وكشفت هذه الرحلات عن أسرار كثيرة من البلاد التى زارها، فهو أول من ذكر شيئا عن استعمال أوراق النقد فى الصين، وكان فعلا الرحالة الأمين كما وصفه المستشرق الكبير «دوزى» .

●● ووصف ابن بطوطة مصر وصفا جميلا : هى أم البلاد وقرارة فرعون ذى الأوتاد. . ذات الأقاليم العريضة والبلاد المتناهية فى كثرة العمارة المتباهية فى الحسن والنضارة. مجمع الوارد والصادر ، ومحط رحل الضعيف والقادر . وبها ما شئت من عالم وجاهل ، وجاد وهازل ، وحليم وسفيه ، ووضيع ونبيه ، وشريف ومشروف ، ومنكر ومعروف . . تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها . . شبابها يجد على طول العهد . . قهرت قاهرتها الأمم ، وتملكت ملوكها نواصى العرب والعجم (ومما ذكره عن الحالة الاجتماعية فى مصر قوله : إن بمصر من السقائين على الجمال اثنى عشر ألف سقاء . وإن بها ثلاثين ألف مكار . وإن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية ، تمر صاعدة إلى الصعيد . ومنحدرة إلى الإسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق . . وقال فى وصف طباع المصريين : «وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو » .

ووصف استخدام الصين لأوراق النقد ، فقال : وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم . وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعا . وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد « ورق » كل قطعة بقدر الكف . . مطبوعة بطابع السلطان ، بينما فى السودان يتصارفون بالملح . كما نتصارف بالذهب والفضة ، ويقطعون الملح قطعا ويتبايعون به . . !!

« وتحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ظلت موضع اهتمام المستشرقين والباحثين فترة طويلة وعلقوا عليها ونقلوا بعضها إلى اللاتينية ونقلها «لى» إلى الإنجليزية وطبعت فى لندن عام ١٨٢٩ م ونقلها ديفر يمرى و سنكونيتى إلى الفرنسية وطبعت فى باريس عام ١٨٥٣ م وعام ١٨٥٩ م فى خمسة مجلدات . وترجمها مزيك إلى الألمانية وطبعت عام ١٩١٢ م ولها ترجمة تركية اسمها «تقديم وقائع» وطبعت فى مصر فى مطبعة وادى النيل عام ١٨٧١ م ، ثم فى المطبعة الخيرية عام ١٩٠٤م . . وتوفى ابن بطوطة فى مراكش عام ١٣٧٨م فى نحو الرابعة والسبعين . ومازالت فى مكتبة باريس قسم من النسخة الخطية النفيسة بخط يد ابن جزى نفسه . .

●● ومن أشهر الرحالة المسلمين يأتى ابن جبير الذى ولد فى أول سبتمبر ١١٤٥م فى مدينة بلنسية بالأندلس . وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى البلنسى ، وأشهر كتبه «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار» كتبه عام ١١٨٦ م وتداولته الأيدى مخطوطا فى الشرق والغرب حتى قام على نشره وطبعه ويليام رايت الإنجليزى عام ١٨٥٢ م وراجعه بعده الهولندى دى خويه ١٩٠٧م . وقد عمل ابن جبير مع أمير غرناطة أبو سعيد بن بحر المؤمن ملك الموحدين فى وظيفة كاتم سره ، فأقام فى غرناطة وحج فى سفرة استمرت سنتين ، ودوّن مشاهداته وملاحظاته فى يوميات هى المعروفة برحلة ابن جبير، فجاءت وافية لجميع ما شاهده وقاموسا لمصطلح عهده وثبتا بأسماء البارزين من علماء المسلمين وملوكهم فى أواخر القرن السادس الهجرى .

ترك ابن جبير غرناطة مع صديق اسمه أحمد بن حسان يوم الخميس ٣ فبراير ١١٨٣م إلى جزيرة الطريف «الطرف الأغر» ، وعبر البحر إلى سبتة فوجد سفينة مقلعة

إلى الإسكندرية ، فركبها يوم ٢٤ فبراير وتعرضت لعواصف شديدة فى سردينيا ، ثم أقلعت إلى صقلية ، ثم كريت ليصل إلى الإسكندرية يوم ٢٦ مارس ، أى استغرقت الرحلة حوالى شهر .

وزار فنار الإسكندرية . وصلى بالمسجد المشيد فى أعلاه وشاهد بقايا العمائر البطلميوسية والرومانية ولاحظ كثرة مساجد الإسكندرية . ورحل ابن جبير إلى القاهرة ونزل بفندق قرب جامع عمرو وزار مسجد الحسين والمدرسة الناصرية وشاهد القلعة ولم يكن قد اكتمل بناؤها وقناطر المياه قرب الجيزة على امتداد طريق الإسكندرية الصحراوى . وزار الأهرام وسمى أبو الهول : أبو الأهوال ثم سافر فى النيل إلى قوص مرورًا بمدن الصعيد دون أن ينزلها ومن قوص إلى عيذاب حيث الطريق الدولى لتجارة البهار والتوابل ، ووصل إلى عيذاب وعبر البحر الأحمر إلى جده ، ثم إلى مكة ليصلها فى أغسطس ١١٨٣م ، ووصف المسجد الحرام ومكة فى ٧٠ صفحة فجاء وثيقة أثرية لتلك البقاع وأحوالها فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى .

وبدلا من أن يعود إلى بلده سار إلى العراق ، ثم إلى المدائن عاصمة بلاد الفرس قبل الإسلام . ومن العراق سافر إلى دمشق ، ثم إلى عكا ليركب البحر عائدا إلى بلاده ، واستغرقت الرحلة البحرية حوالى شهرين مر فيها بجزيرة صقلية فوصفها وصفا دقيقا ، وعاد إلى غرناطة يوم ٢٥ إبريل ١١٨٤م .

ولكن ابن جبير سرعان ما عاد إلى الشرق فى رحلة ثانية بعد أن سمع أن صلاح الدين الأيوبى استولى على بيت المقدس من الصليبيين عام ١١٨٧ م ، فسافر من غرناطة وانتقل إلى ملقة وسبتة وفاس . ولكنه سرعان ما عاد إلى الشرق مرة ثالثة حسب ما جاء فى كتاب الإحاطة . .

وعندما ماتت زوجته رحل إلى مكة ، ثم انتقل إلى بيت المقدس ، ثم إلى الإسكندرية فأقام فيها حتى توفى عام ١٢١٧م .

وطبعت رحلة ابن جبير للمرة الأولى فى ليدن عام ١٨٥٢م مع مقدمة للمستشرق ويليام رايت ، ثم أعيد طبعها فى لندن عام ١٩٠٧م بعد أن نقحها دى خويه . ونشرت

بالعربية أوائل القرن العشرين ، ثم فى أوائل النصف الثانى طبعت بمطبعة مصر بالفجالة عام ١٩٥٥م .

ونصل إلى نوع آخر من الرحالة الذين أثروا علم الجغرافيا ، وفى مقدمة هؤلاء الإدريسى الذى ولد عام ١٠٩٩م وتوفى عام ١١٨٠م، وهو رحالة جاب الآفاق . تعلم فى قرطبة بالأندلس وأغرم بالجغرافيا وزار بلدانا عديدة وترك لنا وصفا شائقا لمعالمها ومدنها . . زار القسطنطينية وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والأندلس وعبر البحر إلى إنجلترا بعد أن زار فرنسا ، ثم عاد إلى صقلية وصنع لملكها روجر كرة أرضية من الفضة كتب عليها بالعربية كل ما كان يعرفه عن البلدان ، ولكن هذه الكرة فقدت وكان وزنها ٤٠٠ رطل .

وسجل الإدريسى ما شاهده فى كتاب أطلق عليه اسم «نزهة المشتاق فى أخبار الآفاق» وكان هذا الكتاب عونا للجغرافيين فى توسيع معارفهم، كما كان عونا للمستكشفين البرتغاليين فى القرن الخامس عشر .

وقسم الإدريسى الأرض إلى سبعة أقاليم أو مناطق، ثم قسم كل إقليم إلى ١١ قطرا، وقاس أبعادها بالميل والفرسخ، غير أنه لم يفكر فى خطوط الطول والعرض . كما وصف نهر النيل فى بلاد النوبة وقال عنه : «عرض النيل فى بلاد النوبة ميل واحد وعرضه فى مصر(القاهرة) ثلث ميل . وفيه التمساح والحوت المسمى بالخنزير وهو ذو خرطوم أكبر من الجاموس يخرج من النهر فيأكل الزرع ويرجع إلى النيل» . ووصف أسماك النيل ، ووصف مدينة الفيوم ، وإن قال : إن هواءها غير نقى وبه وباء، ووصف الفواكه فى السودان وحيواناته . واهتم بالجغرافيا البشرية وعادات الأهالى وتقاليدهم وملابسهم .

ومن أبرز أعماله الخريطة التى أعدها للعالم : عبارة عن كرة يحيط بها البحر المحيط . وأبرز منابع النيل ومساره والحجاز وبحر الخزر «قزوين» وأوربا والبحر المتوسط . كما رسم خريطة أخرى لشمال إفريقيا من شرق البحر المتوسط ومصر إلى مراكش غربا والأندلس شمالا وأوربا .

وقد وجدت من كتابه نسخة خطية بمكتبة باريس عام ١٨٢٠م فترجمها جوبرت إلى الفرنسية ونشرت بين عامى ١٨٣٦ و ١٨٤٠ م ، وترجمه يوحنا الحصرونى وجبرائيل الصهيونى إلى اللاتينية ونشراه مع النسخة العربية . وهاتان النسختان المنشورتان اختصار لنسخة موجودة فى مكتبة الأسكوريال فى إسبانيا . وطبع الكتاب فى مدريد عام ١٨٨١ م ومعه ترجمة إسبانية للأستاذ سافورا . وترجم اميدى جوبار إلى الفرنسية جغرافية الشريف الإدريسى عن النسخة الموجودة فى مكتبة باريس وطبعها بين عامى ١٨٧٧ و ١٨٧٩ م ، كما طبع فى ليبزيج عام ١٨٢٨ م .

وقال المرحوم أحمد زكى باشا فى مقال نشره بالمؤيد فى فبراير ١٩١٢م : إنه عثر على ٤ نسخ خطية من هذا الكتاب ، ولم يكن فى دار الكتب الخديوية منه إلا الجزء الأول مكتوبا بخط جميل متضمنا الخرائط . وجاء فى مقدمة هذه النسخ التى عثر عليها أحمد زكى باشا أن الإدريسى ألف هذا الكتاب مصورا لأشكال الكرة الأرضية وصورها .

●● أما ابن حوقل فهو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى . وهو أحد الرحالة المشهورين فى الإسلام . كان تاجرا فى الموصل . سافر من بغداد وطاف البلاد الإسلامية ووصفها ، كما وصف بلاد البربر وصفا خلابا ، وجال ببلاد الأندلس ، ووصل إلى صقلية والعراق وفارس وغيرها ، ودامت رحلاته ٢٨ عاما فى القرن الرابع للهجرة . وألف فى رحلاته كتابا اسمه «المسالك والممالك» الذى ترجم إلى الإنجليزية وطبع فى لندن عام ١٨٠٠ م وفى باريس عام ١٨٤٢ م . وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب فى أوكسفورد ونسخة أخرى فى مكتبة باريس .

وقد اعتمد ابن حوقل فى كتابه على ما عاين وما حكى له ، ولكن دون تثبت أو فحص ، فوقع فى كثير من الأخطاء والأوهام .

وذكر ابن حوقل الأقاليم والبلدان وطبائع أهلها وخواص البلاد ، وذكر الأنهار الكبار والبحار ووصف المدن والأقاليم . وقد زار مصر حتى إنه وصف بغالها وحميرها ووصف منارة الإسكندرية ، وقال : إنها صنعت لرصد الفلك . ومن أبرع ما وصفه ، وصفه لجزيرة صقلية . ووصف الشام والجزيرة والعراق وفلسطين وقبرص . وهو أفضل مَن وصف العراق بمدنه وأنهاره . .

●● ولكننا لا يمكن أن نمضى دون أن نـذكر أشهر رحـالة فى العالم القـديم . . إنه هيرودوت الذى ولـد عام ٤٨٤ ق . م فى هـاليكارناسـوس فى آسيا الصغـرى . فهو أكبر رحالـة فى عصر ما قبل الميلاد . . سـافر كثيرا فى أوربا وآسيـا وزار مصر عام ٤٥٠ ق . م وطاف بها حتى وصل إلى أسـوان . . ويصفونـه بأنه أبو التـاريخ . وأشهر أعمالـه وصفه أسباب ونتـائج الحرب الإغريقيـة ـ الفـارسية بين عـامى ٤٩٩ و ٤٧٩ ق . م . وقد جمع القصص التى سمعهـا خـلال رحـلاتـه فى العالم القـديم . وضمّن رحـلاتـه فى كتـاب خصص الجزء الثانى فيـه لمصر . ويعتبر بحق ـ كما وصفه شيشرون ـ أبو التـاريخ ، لأنه أول من عـالج التاريخ بـاعتباره موضـوع بحث علمى ، ولأنـه هو الذى خلـق فلسفة التاريخ . وهـو أول من وصف مصر من الرحـالة الأجـانب الذين شـدتهم حضارة نهر النيل .

●● وعلينا أن نفرق بين الرحالة والمستكشفين . ومن الأخيرين : ديفيد ليفنجستون ـ ١٨١٣ : ١٨٧٣ م ـ التبشيرى البريطـانى الـذى اكتشف مجـاهـل نهـر الـزمبيـزى والبحيرات الكبرى فى شرق إفريقيـا . وبروس الاسكتلندى « ١٧٣٠ ـ ١٧٩٤م » الذى اكتشف مجاهل إفـريقيـا . وسـاهم فى كشف منـابع النيل الأزرق ، وزار مصر وأصـدر كتاب : رحلات لكشف منابع النيل ١٧٦٨ ـ ١٧٧٣ م .

وبراون ١٧٦٨ ـ ١٨١٣ م الإنجليـزى الذى سافر إلى دارفـور عام ١٧٩٣ م ، وإلى الحبشة . ثم أصدر كتابا بعنوان : « رحلات فى إفريقية ومصر وسورية من عام ١٧٩٢ ـ ١٧٩٨ م » .

وستانلى ١٨٤١ ـ ١٩٠٤ م الذى يعتبر أشهـر المستكشفين الذين فتحوا أبواب وسط إفريقيا . ومن أهم مؤلفاته « إفريقيا السوداء » وشارك ليفنجستون فى اكتشاف شمال بحيرة تنجانيقـا ، وتتبع مجرى نهر الكونغـو واكتشف بحيرة إدوارد عام ١٨٨٨ م وقـام بإحدى رحلاتـه تحت رعاية ملك بلجيكا فأطلق اسمـه على مدينة « ستانلى فيل » فى الكـونغو ، وفتح شرق إفريقيا للتجارة البريطانية .

وبيرتون وسبيك اللذان اكتشفا بحيرة تنجانيقا ، ثم بحيرة فيكتوريا ليتأكد العالم أنه منبع النيل الرئيسى .

وصمويل بيكر ١٨٢١ ـ ١٨٩٣ م وهـو الذى اكتشف منابع النيل . حيث اكتشف نهر عطبرة وبعض روافـد النيل . . وهـو الـذى أكـد أن طمـى النيل يأتى من الحبشـة ووصل إلى الخرطوم . ثم واصل طريقه ليكمل الرحلة إلى النيل الأبيض ويكتشف بحيرة ألبرت عـام ١٨٦٤ م لحسـاب مصر ورفع علم مصر أيـام الخديـو إسماعيل على هـذه المناطق . وتأكد أن النيل يخرج من بحيرة ألبرت نيانزا وأصدر كتابه الشهير : ألبرت نيانزا حـوض النيل العظيم . وكشف منـابع النيل عـام ١٨٦٦م ، وفى العام التـالى أصـدر كتابـه : روافد النيل الحبشية . وأوفده الخديـو إسماعيل إلى أقاليم النيل الاستوائيـة وقاد بعثة عسكـرية للقضـاء على تجارة الرقيق ، وفتـح الباب للتجارة والحضـارة مع ١٧٠٠ جندى مصرى . . ومنحـه الخديو إسماعيل لقب بـاشا ولـواء فى الجيش المصرى ، وعينه الخديو إسماعيل حاكما عامّا لمدة ٤ سنـوات على الأقاليم الجديدة فى منابع النيل ، وهو الإنجليزى الأصل .

***

●● وفى العصر الحديث زاد الاهتمام بأدب الـرحـلات . وأصبح العـالم بين اثنين : واحد قـادر على السياحـة والسفر ، ويملك القـدرة على العطاء . . وآخـر لا يستطيع السفر ، ولكنـه يلتهم كل ما يكتبـه النوع الأول . من هنـا وجدنـا كتب الرحـالة وأدب الرحلات أكثر الكتب توزيعا . .

وقد حظيـت كتب الرحـلات إلى أوربا وأمريكـا بالاهتمام الأكبر بحكم أننـا نعيش عصر الحضارة الغربية . . وبحكم أننا نتجه بعيوننا وقلوبنا نحو الغرب . ولكن ماذا عن الشرق . . ماذا عن آخر قارة تنضم لعالمنـا ألا وهى استراليا . . تلك هى موضوع الجزء الأكبر من هذا الكتاب هى وبعض منـاطق آسيا المجهولة ، مثل : ماليزيـا وسنغافورة وجزر الهند الشرقية .

وإذا كنا ـ فى هذا الكتاب ـ نقدم سياحة فى أمريكا التى لم يعرفها العالم إلا منذ خمسة قرون لا أكثر . . فإننـا نقدم سياحة فى جنـوب آسيا التى كانت يومـا الكنز الذى يسعى إليه العالم . .

●● ومن أقصى غرب الكـرة الأرضية ـ أمـريكا ـ إلى أقصى مشرق الكـرة الأرضية ـ استراليا ـ نطوف ونسمع ونرى ونعيش ونقـدم حياة كلهـا تناقض من خلال مشـاهدة حقيقية وانغماس كامل فى أعماق أبناء تلك البلاد . .

تعـالوا معنـا نطـوف ونـرى كيف تمضى الحيـاة فى أمريكـا حيث بطش القـوة والمال والجاه . . ثم نطير إلى استراليا آخـر ما اكتشفه العـالم فى تلك القارة الجزيـرة التى جعلوا منها سجنا كبيرا يتخلصوا فيه من المجرمين الذين دوّخوا رجال الأمن فى إنجلترا .

وبين أمريكا واستراليا نمضى فى رحلتنا عبر هذا الكتاب الذى بين أيديكم .

القاهرة فى ٣ / ٥ / ٢٠٠١م

عباس الطرابيلى

obeikandl.com